

## الملخص

### الفلاحة الرومية – لمؤلفه قسطا بن لوقا البعلبكي

#### دراسة وتحقيق

#### الدكتور وائل عبد الرحيم اعبيد

أولت معظم الدراسات الحديثة التي تناولت بلاد الشام في العصر العباسي النواحي السياسية والعسكرية، جل اهتمامها، في حين أهملت النواحي الإقتصادية للمنطقة، وذلك لقلة المعلومات المتناثرة في بطون الكتب التاريخية والجغرافية.

وبعد تحقيق كتاب الفلاحة الرومية، لمؤلفه قسطا بن لوقا البعلبكي الشامي إضافة جديدة إلى النصوص الفلاحية المعروفة والمحققة، وإسهاماً علمياً في حقل العلوم الزراعية.

ويبدو أن قسطا بن لوقا قد ألف كتابه «الفلاحة الرومية» ليزود الفلاح العادي بمعلومات أساسية تساعد على أعماله الفلاحية من ناحية: اختيار الأرض المناسبة للنبت والزرع، وتحديد أوقات الغرس والبذر والحصاد، وطريقة خزن الحبوب وحفظها لمدة طويلة، وغير ذلك من ضروب الفلاحة وفنونها.

ومع أهمية كتاب الفلاحة الرومية الذي يعكس الطرائق الزراعية المطبقة في بلاد الشام في «القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي» فلم تظهر أية محاولة لتحقيقه، لذا أرتى الباحث إلى دراسة الكتاب وتحقيقه تحقيقاً علمياً.

وقد مهدَّ الباحث لتحقيق المخطوط بدراسة الأوضاع الزراعية في بلاد الشام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وتحدث عما يلي:

أولاً: النظام الزراعي في بلاد الشام من ناحية (أ) طرائق استغلال الأرض (ب) الأساليب الزراعية (ج) الأدوات الزراعية (د) مشروعات الري.

ثانياً: المحاصيل الزراعية وتربية المواشي في بلاد الشام من ناحية:

(أ) محاصيل الحبوب (ب) الخضار والبقول (ج) النباتات العطرية والطبية (د) الأشجار المثمرة والفواكه (هـ) الأشجار الحرجية والغابات والمراعي.

وقد اشتملت خطة البحث على عدة أمور، هي تعريف المؤلف، وتحديد منهج التحقيق وتحليل خطة الكتاب ومصادره، ثم أهمية كتاب الفلاحة الرومية، ومنهج المؤلف وأسلوبه.

وجاء هذا الكتاب في اثني عشر جزءاً، تناول فيه الأساليب الزراعية أيام الرومان وما يتعلق بها، ولما كان مؤلفه قد استقى جُلَّ معلوماته عن الكلدانيين، لذا تداخلت المادة الفلاحية في الكتاب مع الممارسات السحرية والمعتقدات الكلدانية المتعلقة بالكواكب والنجوم وصناعة التنجيم.

وقد اشتمل الجزء الأول منه على خمسة عشر باباً تناول فيهما الكواكب والنجوم والبروج والمنازل والرياح. فذكر أن عدد بروج السماء اثنا عشر برجاً ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة، وأطال المؤلف في الحديث عن المنازل والبروج لما لهما من أهمية في حياة الناس، وبين أنواع الرياح واسماءها ومهابها ودورها في سقوط المطر.

وخصص الجزء الثاني في اختيار مواضع المساكن وقسمه إلى ثمانية أبواب أورد فيهما أن أصوب مواضع البناء وأقواها وأنفعها ما ارتفع من الأرض. وتكون أبوابها وأفنياتها من جهة المشرق لسرعى استقبال طلوع الشمس وضوئها عليهم، وتحدث عن علامات الأرض الطيبة وفائدة السماد للأرض والزرع، وما صلح من الرجال لأعمال الفلاحة، واختتم الجزء بذكر المكايل والأرطال.

وفي الجزء الثالث: تناول فيه أحوال البذور وقسمه إلى ستة وعشرين باب تحدث فيها عن أوان الزرع بالأيام والساعات واختيار البذور الحديث والحديد، والأرض التي تناسبه، وطريقة اقتلاع الحشائش المضرة بالزرع، ومقاومة الآفات الزراعية، كما بين أوان وطريقة زرع الحمص والعدس والترمس والكتان والبرّ والشعير، وتحدث عن أوان إدراك الزرع وحصده وخزنه في المخازن وحمايته من الآفات.

أما الجزء الرابع: فيتناول أمر الكرم وقُسِّم إلى مائة وثمانية عشر باباً، تناول فيها أوان حفر الكرم وغرسه، ومقدار عمق الحفرة التي يزرع فيها، ونوعية القُضبان التي يمكن زراعتها، وبين طريقة غرس العنب فيصير عنباً لا بذراً له، وزرع الجرجير والقرع والقثاء في الكرم، ليسلم الكرم من الدود، وأطال الحديث عن تقليم الكرم وأوانه، كما بين طريقة إضافة بعض الكرم إلى بعض أو إلى غيره من الأشجار، وأوان قطف الكرم. وأولى المؤلف اهتماماً في طريقة صنع الشراب من العنب وخزنه وحفظه من الفساد، وكيف يمكن إصلاحه إذا فسد، وتناول الأشربة المسكرة من غير الخمر كشراب البر، والشعير، والأرز، والآس، والعسل، وغيرها.

ويبحث الجزء الخامس: في أمر البساتين وقسمه إلى أربعة وثمانية باباً، بدأه في اختيار الأرض لزراعة البساتين، وأوان الغرس وتعهده وبين كيفية إضافة الأشجار بعضها إلى بعض، ومعالجة الذي انقطع حملُهُ، أو الشجر الذي يسقط ثمره من غير ربح يصيبه، أو الشجر الذي أصابه آفة، كما بين أوان غرس التفاح وصيانته، وأوان غرس الزعرور، والخوخ والكمثرى، والمشمش، والتين، والرمان، والفُرصاد، والسفرجل، والعناب، والغبير، والآس، واللوز، والجوز، والفسق، والصنوبر وغيرها من الأشجار.

وجاء الجزء السادس: في أمر الزيتون، وجعل في اثنين وعشرين باباً، تحدث فيه عن الاهتمام بشجرة الزيتون من حيث زراعتها والعناية بها، ووصف الأرض التي يُغرس فيها الزيتون، والطريقة المتبعة ليزيد حمل شجر الزيتون، وطريقة معالجة شجر الزيتون من الآفة، وفائدة السماد له. وحدد أوان قطف حب الزيتون والطريقة المتبعة في ذلك وطريقة عصره وخزنه، كما بين علاج الزيت الكدر حتى يصفو، وأنهى الجزء في حديثه عن عمل الزيتون الذي يتآدم به.

أما الجزء السابع: فجعله في أمر المباقل والمقايي وقسمه إلى ثلاثة وأربعين باباً، تناول فيه الحديث عن الأرض التي تزرع فيها المباقل، والمقايي، ونوع السماد الذي تُسمد به، وأوان زرعه، وبين طريقة صيانة البقول من الدود والطيور وذلك بخلطه بحب النانخاه، أو زراعة السلق والجرجير بين البقول، أو ينقع بذر البقول بماء الحنظل، وتحدث في هذا الجزء عن معظم أنواع المباقل والمقايي من حيث: أوان وطريقة زرع كل نوع، وفوائده الطبية، ومن

هذه الأنواع: السلق، والقثاء، والقرع، والبطيخ، والجرجير، والكرفس، والهندباء، والحماض، والكراث، والاسفاناخ، والكرب الشامي... الخ.

وكان الجزء الثامن: في أمر الزواحف والحشرات والديدان، وجعل في ثلاثة وعشرين باباً، تحدث فيها عن مضار الزواحف والحشرات والديدان وطريقة التخلص منها، وذلك بطبخ الترمس والحنظل ثم ينضح على الزرع فإنه ينج من الجراد بعد أن يجد ريحه، وخط لوز مر أو حنظل بعجين ثم يوضع في باب حجر جردان البر فإذا أكلت منه ماتت. وإذا دخن بالقراص في حارة لم يقرب الذباب تلك الحارة.

وجاء الجزء التاسع: في ذكر الطيور وخصص له اثنان وعشرون باباً تحدث فيها عن أمر الحمام وكيف يألف بيته حتى لا يهرب منه، وطريقة حماية الحمام من الزواحف والحشرات. وتحدث عن بيوت الدجاج وطريقة حضن البيض بالدجاج وغير الدجاج، ومعاينة الدجاج الذي يأكل بيضه، واختتم حديثه في معالجة الدجاج من الأمراض. وبحث في أمر البط من حيث نوع العلف للبط والعناية بفراخه، كما بين طريقة صيد الطيور باستخدام بر غير منخول، وعجنه بخمر فإن الطيور تتحير ويأخذها الصياد كيف شاء.

وخصص الجزء العاشر: في ذكر الحيوان وجعله في عشرين باباً، تناول فيها الخيل وتاجها وتربيتها ومداوة أمراضها والحمود من صفاتها والمذموم منه، وأولى اهتماماً بالبقر من حيث أفضلها للتربية، ووقت تلقيحها ومدة الحمل عندها، وكيفية إبعاد الذباب عن البقر، وتحدث عن الحمر الأهلية، وحمر الوحش، والضأن، والمعز، وذكورها وإناثها، وسلامتها من الداء، وبين أن أفضل أماكن رعي الغنم في الجبال، ووصف ذكور الكلاب وإناثها، وكيف يألف الكلب أهله، واختتم الجزء بالحديث عن الأرانب وخنازير البر والأياثل والإبل والخنازير.

وجعل الجزء الحادي عشر: في أحوال البشر، وقسمه إلى أربعة عشر باباً، بدأها بالحديث عن نحل العسل من حيث: أكلها، وطريقة بناء بيتها، وحمايتها، وطريقة صنع العسل، وفوائد العسل، وتمييز العسل الخالص من المغشوش، وأطال الحديث عن بعض طباع

الحيوان كالذئب إذا نهش بأنيابه فرساً فإن الفرس ترتعب وتُسرع بالمشي، وإذا رأى ذئبُ إنساناً قبل أن يراه الإنسان أبح صوت الإنسان.

وأولى اهتماماً خاصاً في هذا الجزء بأحوال البشر من حيث: أمراضهم وطرق علاجها كمرض الرُعاف، والسُّعال، والحكة واليرقان، ووجع الضرس، ووجع الأذنين، وحفظ صحة الإنسان.

واختتم كتابه في الجزء الثاني عشر: بأمورٍ حياتية متعددة وقسمه إلى واحد وثلاثين باباً، أوضح فيها طريقة صنع المربي وتمييز العسل الخالص من المغشوش، وتطبيب ريح الثياب، وحفظ الحديد من الصدأ، وطريقة صيد بعض الحيوانات، وبحث في دفع مضرة السم، وطريقة صنع الحبر، وما يكلُّ حدِ الشفرة وغيرها من الأمور الحياتية التي تفيدُ البشر.

obbeikandi.com

الباب الأول  
التطور الزراعي  
في بلاد الشام  
في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي